الكرازة الفعالة

قدّم لنا الرسول بولس في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس قاعدة هامة تتعلق بالكرازة الفعالة بالإنجيل، إذ كتب يقول: "فإني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهودي كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس. مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح. لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً." (الرسالة الأولى لكورنثوس٩: ١٩ – ٢٢) ولنلاحظ أن الرسول بولس يتحدث هنا عن اختبار حي وأسلوب يمارسه في الكرازة، وليس على أساس مجرد قاعدة نظرية يضعها ويدعونا لتطبيقها. وإذا عدنا إلى سفر أعمال الرسل لتبين لنا مدى صحة كلامه. لكن السؤال الآن كيف بنا نحن المؤمنين ومع بداية القرن الواحد والعشرين أن نمارس هذه القاعدة التي وضعها لنا الرسول بولس؟

تثير هذه القاعدة التي وضعها الرسول بولس وبوحي من الروح القدس مشكلة هامة أمامنا وهي: ما هو المدى الذي نسمح به لأنفسنا في علاقاتنا مع الآخرين من غير المؤمنين؟ وإلى أي حد يكون تقربنا منهم بقصد تحقيق هدف ربحهم للمسيح؟ كثيرا ما نسمع هذه الجملة تتردد على مسامعنا: "نحن كمؤمنين يجب أن ننعزل عن الناس الأشرار وأن نبتعد عنهم قدر الإمكان." ومرة قال لي أحدهم: "أنا أذهب للعمل كل يوم وأحرص أن لا أختلط مع الموظفين الآخرين إلا بما تقتضيه طبيعة العمل، وأنتظر بفارغ الصبر نهاية اليوم حتى أعود للبيت." وتابع قائلا: "إن شركتنا نحن المؤمنين هي مع الرب ومع إخوتنا المؤمنين أما غير ذلك فيجب أن نقوم به عن ضرورة كالعمل لتأمين لقمة العيش، والدراسة للحصول على المؤهلات العلمية التي تساعدنا في رفع مستوى حياتنا." هذا بالطبع موقف متطرف ولا أعتقد أنه موقف كتابي صحيح وسنأتي على معالجته بعد قليل. لكن كما يوجد تطرف في هذه الناحية يوجد أيضا تطرف من الجهة الأخرى. إذ نجد هناك من يختلط مع غير المؤمنين ويسايرهم في تصرفاتهم إلى حد تضيع فيه هويته المسيحية، ولا يعود له أي تأثير على حياتهم. وهذا الموقف أيضا خاطىء وغير كتابي. إذن إن كلا الموقفين خاطىء وغير كتابي.

لقد دعانا المخلص يسوع المسيح لكي نذهب إلى العالم أجمع ونكرز بالإنجيل للخليقة كلها. وقال لنا: "أنتم نور العالم، وأنتم ملح الأرض." (بشارة متى ٥ : ١٤ و ١٣) فكيف بنا نذهب إلى العالم أجمع ونكرز لهم إذا كنا نريد أن ننعزل عن الناس الذين حولنا؟ وكيف بنا نكون نور العالم إذا أخفينا أنفسنا في بيوتنا وكنائسنا؟ وهل بمقدورنا أن نكون ملح الأرض أي فعالين ومؤثرين

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

في المجتمع إذا عزلنا أنفسنا في جزر صغيرة بعيدة عن الناس لا يدري بها أحد؟ كلها تساؤلات جدير بنا أن نفكر بها ونحاول الإجابة عنها إذا أردنا فعلا اتخاذ الموقف الكتابي الصحيح، وأن ننفذ المأمورية العظمى التي طلبها المسيح منا جميعا.

من الطبيعي أن نبدأ كرازتنا في المحيط الصغير الذي نعيش في وسطه. أي في أسرتنا وفي المدرسة أو الكلية التي نذهب إليها، أو في محيط العمل الذي نمارسه، وفي الحي أو الشارع الذي نعيش فيه. وبالنسبة لنا كعرب نعيش في بلاد المهجر فإن الجالية العربية الكبيرة الموجودة بكثافة في بعض المدن الأمريكية أو الاسترالية أو الأوروبية هي المحيط الذي يجب أن نتطلع إليه للكرازة في وسطه. ولكي نحقق هذا الهدف علينا أن نختلط بهؤلاء الناس الذين نريد أن نصل إليهم. اختلاطا يسمح لنا بأن نربح ثقتهم بنا أولا ونبني علاقات صداقة معهم، ثم نقيم معهم حوارا بناء نصل من خلاله إلى إيصال رسالة الخلاص المفرحة لهم.

قد يقول قائل: إن سلوكي المستقيم هو أعظم شهادة للآخرين عن المسيح. هذا صحيح، وعلى كل واحد منا أن يحرص لكي يظهر المسيح في حياته. لكن يجب أن لا نقف هنا، لأن المسيح كلّفنا بمهمة عظمى هي مهمة الكرازة بالإنجيل البشارة المفرحة إلى الناس من حولنا. وعلينا أن نتذكر دائما قول الكتاب: "وكيف يسمعون بلا كارز؟" (الرسالة إلى رومية ١٠ : ١٤) إذن يجب أن يترافق السلوك المستقيم مع الكرازة الكلامية عن بشارة الإنجيل. والحقيقة الأخرى التي يجب أن نتذكرها دائما هي أن كل المؤمنين هم شهود وكارزون وليس الخدام والمبشرون والوعاظ فقط.

لقد قدّم لنا الرب يسوع المسيح أمثلة عملية بالنسبة للاختلاط مع الناس الآخرين، إذ كان يتكىء ويأكل مع العشارين والخطاة. وعندما تذمر عليه مرة الكتبة والفريسيون أجابهم المسيح قائلا: "لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى. لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة." (بشارة لوقا ٥ :٣١) لا بل اتُّهم المسيح من قبل الفريسيين أنه "محب للعشارين والخطاة. (بشارة لوقا ٧ : ٣٤) وكان المسيح يجول في كل قرية ومدينة يكرز ويبشر بملكوت الله، أي ببشارة الإنجيل المفرحة وخلاص الله. وأرسل تلاميذه لكي يكرزوا بهذه البشارة إلى الناس المتألمين والمحتاجين لها. وفي صلاته الشفاعية الأخيرة طلب المسيح من الآب السماوي قائلا: "لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير." (بشارة يوحنا ١٧ : ١٥) أي أن المسيح يريد من تلاميذه والمؤمنين به أن يبقوا في وسط العالم لكي يشهدوا للآخرين عن نعمة الخلاص التي وهبها إياهم الله.

أما الرسول بولس فقد كتب في رسالته الأولى إلى المؤمنين في كورنثوس يقول: "كتبت إليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة. وليس مطلقا زناة هذا العالم أو الطماعين أو الخاطفين أو عبدة الأوثان وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم. وأما الآن فكتبت إليكم

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

إن كان أحد مدعو أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا." (١كورنثوس ٥ : ٩ – ١١) من الواضح أن الرسول بولس هنا يحث المؤمنين على عدم الابتعاد عن أهل العالم الأشرار، لا بل يختلطوا بهم، لكي يكونوا مثالا حيا لهم، ويشهدوا في نفس الوقت عن نعمة الله المخلصة والمغيرة لحياتهم. لكن بالنسبة للإخوة الساقطين والمستمرين في الخطية فإن الوضع يختلف، إذ علينا أن نتجنبهم لعلهم يتوبون ويعودون إلى الرب.

فهل ترانا نخرج عن عزلتنا ونقتفي خطوات ربنا ومخلصنا المسيح وتعليم الرسل الأوائل؟ وهل نسعى لكي نتقرب من الناس الآخرين لهدف تقديم رسالة الخلاص المفرحة لهم؟ أولا نود أن نكون فعلا نوراً للعالم وملحاً له؟

كنا قد اقتبسنا في بداية هذه المقالة الآيات المقدسة التي دوّنها لنا الرسول بولس في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس، ونعيد كتابتها هنا لأهميتها، هذه الآيات التي تقول: "فإني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهودي كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس. مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح. لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً" (الرسالة الأولى لكورنثوس٩: ١٩ – ٢٢).

فماذا قصد الرسول بولس من هذه القاعدة العملية التي وضعها لنا؟ وكيف بإمكاننا أن نستعبد نفوسنا للجميع أي للناس من حولنا بالرغم من اختلافهم عنّا بالمذهب والعقيدة والسلوك؟ باستطاعتنا السير بموجب هذه القاعدة عندما نضع نفوسنا مكان الناس الذين نريد أن نصل إليهم. أي نفكر كما يفكرون، ونطرح التساؤلات التي يتساءلون بها، لا بل نحاول أن ندخل إلى أعماق قلوبهم وكأننا نؤمن بما يؤمنون به. وهذا بالطبع يقتضي منّا أولا أن نتعرف عليهم ونختلط بهم كما ذكرنا قبل قليل. وعندما نقترب منهم، فإننا نستطيع مساعدتهم والتحدث بلغتهم ومفاهيمهم. وبتعبير آخر نقدم لهم رسالة الإنجيل باللغة والأسلوب الذي يفهمونه واعتادوا عليه. أما النتيجة فتتوقف على عمل الروح القدس لإقناع الناس وليس على براعتنا وحنكتنا. المهم أن نقوم نحن بعملنا بشكل صحيح وشبه كامل.

كيف يمكننا أن نطبق هذا الكلام على كرازتنا بالإنجيل؟ لنأخذ الرسول بولس كمثال لنا وهو رسول الأمم الأول. فنلاحظ أن بشارته بين اليهود كانت تختلف بالكلية عن بشارته بين الأمم، مع أن الرسالة واحدة. لقد كان الرسول بولس يتحدث دائما لليهود من العهد القديم وعن وعود الله لهم. وكيف أن الله أقام لإسرائيل حسب الوعد مخلصاً هو يسوع، وأنه يبشرهم بالموعد الذي صار للآباء: "أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع.." (أعمال الرسل ١٣:٢٣). ونقرأ في أعمال الرسل كيف كان يدخل

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

الرسول بولس إلى مجمع اليهود حسب عادته ويحاجّهم موضحاً ومبيناً أن هذا هو المسيح يسوع الذي أنا أنادي لكم بـــه" (أعمـــال الرسل١٧:١-٣).

بينما نلاحظ أن أسلوب بشارة الرسول بولس اختلف عندما كان يتحدث مع الأمم. فنجد أنه حدّث الأمم في مدينة لسترة، عـــن "الله خالق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. وهو الذي في الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون في طرقهم. مع أنه لـــم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنـــة مثمـــرة ويمـــلأ قلوبنـــا طعامـــاً وســـروراً" (أعمـــال الرسل١٤:١٦-١٧). أي حدّثهم بأمور العالم الذي يعيشون في وسطه، والظواهر الطبيعية التي يلمسونها لكي يقدم لهـــم رســـالة الإنجيل. وفي مدينة أثينا وفي وسط ساحتها آريوس باغوس وقف الرسول بولس ليتحدث لليونانيين عن مذبح كتـــب عليـــه لإلـــه مجهول. أي استخدم لغتهم وعالمهم الخاص لينقل لهم رسالة الخلاص. ومن فكرة الإله المجهول انتقل ليحدّثهم عن الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه وهو رب السماء والأرض، وهو الذي يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء. وكيف أنه – أي الله – صنع من دم واحد كل أمة من الناس. ولم يقف الرسول بولس هنا، بل اقتبس قولاً لأحد شعراء اليونانيين: "لأننا أيضا ذريته". ثم أعلن لهم "أن الله يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا، لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عيّنه مقدماً للجميـــع إيماناً إذ أقامه من الأموات" (أعمال الرسل١٧:٢٢-٣٤).

نلاحظ من كل هذه الأمثلة الفرق الشاسع بين أسلوب بشارة الرسول بولس لليهود عنها للأمم، وارتباطها بأوضاع الناس الذين يتحدث إليهم. وهنا نكتشف مرة أخرى مدى أهمية معرفتنا بالناس الذين نريد أن نوصل لهم رسالة الإنجيل. ويتضح لنا أن جوهر الرسالة هو واحد، لكن أسلوب كرازتنا يجب أن يختلف بين إنسان وآخر طبقاً لمعتقداته وأوضاعه وظروفه. بينما نجد أن الكثيرين في أيامنا هذه يكرزون بنفس الأسلوب ويكررون نفس التعابير للناس جميعاً، وكأنهم يرددون درساً حفظوه عن ظهر قلب، دون أن يراعوا عقائد وأوضاع وظروف الإنسان الذي يتحدثون معه، ودون أن يعلموا فيما إذا كان السامع قد فهم الرسالة التي يريدون أن يوصلوها إليه. وكأن لسان حالهم يقول لقد قدمت البشارة، وعلى السامع أن يتحمل المسؤولية. صحيح أن الروح القدس هو العامل في قلوب الناس، لكن هذا لا يعفينا من المسؤولية بالنسبة لضرورة إيصالنا البشارة وبشكل صحيح إلى الناس الآخرين. لقد كلّفنـــا المسيح بحمل هذه الرسالة فعلينا أن نكون جديرين بنشرها، لاسيما أننا الوحيدون القادرون على القيام بهذه المهمة العظمى.

يظن البعض خطأ أن جهالة الكرازة التي تحدث عنا الرسول بولس في الأصحاح الأول من رسالته الأولى إلـــى كورنثـــوس تعني جهالة أو ضعف أسلوب الكرازة. لكن الرسول بولس يتحدث هنا عن موضوع الرسالة وليس عن أسلوب تقديمها. وهو مـــا

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

كان الرسول بولس قد أوضحه في بداية حديثه إذ قال: "فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله" (١كورنثوس١:١٨). إن بشارة الصليب بحد ذاتها هي جهالة بالنسبة لغير المؤمنين ولكننا كمؤمنين نخلص من خلالها. ولهذا عاد الرسول بولس وأكد: "لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة. ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة" (١كورنثوس١:٢٢-٢٣). ويبدو واضحاً من هذه الآيات المقدسة أن الرسول بولس يتحدث هنا عن موضوع الرسالة وليس عن أسلوب تقديمها. وكما ذكرنا قبل قليل، فإن جوهر الرسالة أو موضوعها هو واحد، لكن الأسلوب أو طريقة التقديم يجب أن تختلف بين إنسان وآخر. أما عملية ربح النفوس للمسيح – أي تبكيت الخاطئ على خطاياه، وتجديد القلب فهي من أعمال الروح القدس – هذا الأمر الذي نراه واضحاً في سفر أعمال الرسل وكل تاريخ الكنيسة. ولهذا نجد أن البعض كان يؤمن بعد سماعه لبشارة الإنجيل بينما رفضها أيضا الكثيرون.

هل ترانا نتحمل المسؤولية ونأخذ على عاتقنا موضوع الكرازة بشكل جدي؟ وهل نحاول معرفة الناس الذين نحتك بهم بشكل أعمق؟ وذلك لهدف تقديم بشارة الخلاص المفرحة لهم وبالأسلوب الصحيح والملائم.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service